على السفود

وقعت الينا كراسة طبعت فيها قصيدة سماها ناظمها الشيخ عبد الله عفيفي (تحفة العيد) الى مقام صاحب الجلالة الملك الكامل المؤيد فؤاد الاول أعزه الله ، يهنئه فيها بعيد الفطر . وهذه القصيدة نشرت كذلك في بعض الصحف فهي برواجتدد لناظمها وبذلك تدل على ان الناظم يباهي بها ويعدها في الطبقة الاولى والاكان نشرها واكتفى بنشرها في جريدة لاتقرأ كما يفعل (شاعر الاخلاص حسن القرش) الذي ينظم في كل مناسبة قصيدة ملكية ثم لايحفل بها أحد

اذن فالشيخ عفيفي المحرر بالديوان العالي الملكي يريد أن يعلم الأقلين انه شاعر جلالة الملك وانه شاعر ذو قيمة وانه بشراك يامصر بهذا الذي لايليق بمدح جلالة الملك غير شعره . واذن فهذه هي النغمة الثانية في طنبور هذا الشعرور . أما النغمة الاولى فهي زعمه لمن يجالسهم انه أخذ الى الديوان العالي لاصلاح لغته ومباهاته بذلك مع انه لو سأل الادباء ورؤساء تحرير الصحف لعلم انه حين كان يرسل البلاغات الرسمية عن رحلة جلالة الملك في صحراء سيوة كان يرسل في البلاغات أخبار الصحراء ورملها وحصاها وحجارتها فكان لايقرأ هذه البلاغات أحد من الناس لاتقافلها الثقيلة الجافية الغليظة وبذلك كانت تأتي مع الريح وتذهب في الريح لان القراء لايرون فيها شيئا من جمال الانشاء ولا بلاغة التعبير ولا مايمس عواطفهم المنشودة لاخبار ملكهم ولروعة الصحراء الخالدة ولسراتها وشعرها مما لاتنفع فيه كلماتها القاموس ولايصلح له مثل هذا الشيخ

ولكن هل قصيدته (تحفة العيد) تستحق أن تطبع فضلا عن ان ترفع إلى جلالة الملك فضلا عن أن يتباهى بها؟ لننظر فيها نظرة سريعة ليرى القراء بعيونهم أي شعر سخيف وأي ذوق فاسد وأي قريحة جامدة لم تبلغ بالشيخ عفيفي ولا درجة هذه القصيدة التي نشرت في المقطم من أيام بتوقيع (أبي سحصلب) وعنوانها (بجود ابي الفاروق قد ضاق الحصى) فلعل الشيخ يتحصلب ويرتقي ليبلغ هذه الدرجة على الأقل لاننا لانظنه يحلم أن يقرن يوما من الايام بأي شاعر من شعرائنا المعروفين

أول القصيدة هكذا : يوم أغر محجل لله من يوم أغر محجل

فأما الشطر الاول فمن قول البحترى والبدر فوق جبينه المتهلل . وأما الثانى فمن قول البحترى أيضا فى وصف خيل المتوكل : غر محجلة تحاول وقعة : بالوم فى يوم أغر محجل

وهنا يظهر فساد ذوق الشيخ أوضح مما ظهرت لصوصيته الادبية فان البحترى يبدأ ذكر الخيل التى من أهم أوصافها أن تكون غراً محجلة كما هو معروف ثم ينسب اليها يوم الوقعة الذى تكسبه وتقتصر فيه فيكون مثلها أغر محجلا لانه موصوف بها ولانه لم يكسب أولا عتقها وكرم أصلها الذى تدل عليه الغرر والحجول فلما كانت كذلك كان هو بها كذلك ، والا فما معنى ان اليوم أغر محجل . هل هو حصان له جبهة وله أرجل يولد بعلامة تدل على كرم أصله وعتقه هى الغرة فى الجبهة والحجول فى القوائم

وانظر ياسيدى إلى قول هذا الشيخ « لله من يوم » تقول الداهية الخبيث « لله منك » فما أردت أن تعلم خبثه ودهاءه والقوم يقلبونها ويقولون « منك لله » فهل يوم العيد بعد أن صار حصانا انقلب عدوا أو خبيثا أو داهية

ثم ما معنى « اضاءة اليوم بوجه جلالة الملك » أليس اليوم مضيئاً بنفسه ولو كان الليل لجاز أن يضيئه الوجه لأن الليل غير مضىء بطبيعته . وهل يجوز فى ذوق هذا العصر أن تنسب الاضاءة للوجه الملكى الشريف . وهل ضرب الشعر فى هذه القريحة المنيقة التى لا تستطيع أن تتحيل بمجاز من المجازات لاظهار نور الملك فى وجه المليك اليوم ضىء بطبيعته فأى فخر فى اضاءته بل تكون هذه الاضاءة ذات قيمة وانت ترى نور المصابيح الكهربائية اذا اضىء فى نور النهار لم يكن له أى شأن ونزلت درجته نعوذ بالله من هذه الاذواق التى أولى بها أن تكون فى كتب النحو لا فى شعر الملوك

أيدرى هذا الشيخ ماشعر الملوك إن الملوك هم الذين يوجدون عصرهم الشعرى ن كان يكون المتنبى لو لا الذين كان يمدحهم وخصوصاً اميره سيف الدولى وهل الادب الذى يخلقه عصر الملك فؤاد يليق أن يكون من مثل هذه السرقات المكشوفة البليدة الثقيلة عن قيمتها

والطامة الكبرى أن الشيخ عفيفى يقول أيضا فى وصف جلال النور الملكى

نفسى ومن أهوى الفداء لمالك ملكت محاسنه هوای ومقولى

هل تظن (أشراف الكنانة) هم الذين لهم رئيس يقال له نقيب الاشراف أسرع والجأ الى القاموس فالاشراف جمع شرف وشرف الشيء أعلاه فالمعنى في عارضي جلالة الملك وفي أسرة جبينه بدر يعتلي بأعالي الكنانة . فاذا كان بأعالي الكنانة . فما معنى يعتلي وأين أعالي الكنانة والاقبح من ذلك أنه جعل هذا البدر في عارضي الوجه وسرار الجبين فقط . نعوذ بالله نعوذ بالله من هذا الذوق . والاقبح الاقبح أن يقول هذا الشيخ ، ملكت محاسنه هواي ، انهذا يقال في مدح الملوك و بعد أن تجعل محاسنهم تملك الهوى يشبه وجههم بالبدر

على أن البحتري كما تقدم قال ، والبدر فوق جبينه ، وهذا تشبيه صحيح تام فمن فوق الخلافين ذكر العارضين ، وهي ثمرة في نهاية القبح . والشيخ عفيفي يريد ان يقلد المتنبي. فالمتنبي كان يتغزل أحيانا في ممدوحه وقد عد ذلك من نقائصه وجهلوا السبب الحقيقي وهو غرور المتنبي وارادته الاعلان عن كبريائه كأنه لكبر نفسه ينزل الملوك عن درجة الملك الى درجة الهوى الذي لا يكون عادة إلا في أخص أنواع المصاحبة والمخالطة . فهل هذا هو التقليد الأعمى الذي وقع فيه الشيخ بلا بصيرة ولا فهم حتى ولا ذوق ولا أدب نعوذ بالله نعوذ بالله !

وقبل بيتي (المحاسن) يقول مخاطباً غرة العيد :

واجلي بمشرقه المشارق وانشري مافاض منك على الربيع المقبل

وأحب أن يكون الشيخ الثغ وأن ينشد هذا البيت فانه يقول حينئذ : (وأجلي بسرقه المسارق وانسري . ماهذه الشينات الثقيلة المتابعة ثلاثا . لقد طلق الشيخ ذوقه ثلاثا على مايظهر . واذا كانت غرة العيد تجلو بمشرق جلالة الملك المشارق ، فهل يكون الكلام : وانشري فاض منك اومافاض منه . وهو أيضا في هذا البيت يسرق البحتري في قوله :

غنى الربيع ديارهم وغنيتها وطلا كما ذو عارض متهلل

فأضاء منها كل فج مظلم بكما وأخصب كل واد ممحل

أنظر كيف يتصرف البحتري وكيف يهذي الشيخ الذي يطلب من غرة العيد أن تجلو المشارق من نور الشروق الملكي ، وتحلي شوبه ، للربيع ! ! ماهذه السخافة ياناس

ويقول بعد بيتي (المحاسن) :

ملك أعاد الله فى قسماته عزم الرشيد وسنة المتوكل

هذا فى المتن !! وقال فى الشرح !! « السنة صورة الوجه وكان الخليفة المتوكل أجمل الخلفاء صورة وأصبحهم وجها » يعنى لا زال فى شعر (المحاسن) فاذا كان هكذا واذا كانت (القسمات) هى تقاطيع الجمال فى الوجه فما موضع (عزم الرشيد) هنا هل دلالة العزم الا الصلابة والنتن البارز العريض الامريكانى الشيخ جاهل بفن الفراسة ولا شك . وهل لا يوجد فى تاريخ العالم القديم أجمل من المتوكل أم المتوكل ، حكمت به القافية على الشيخ ولذلك جر معه « الرشيد » بالقوة !! لأنهما سيرحلان رحلة طويلة تبلغ ألف سنة ليقيما فى (بيت) الشيخ عفيف

وبعد هذا يقول : كالسيف يجمع فى صفاء فرنده قهر العزيز ورقة المتبتل

وقال فى الشرح !! « قد السيف جوهره وماؤه ولم يشرح المتبتل . والقاموس يقول الملك كالسيف يجمع فى جوهره القهر والرقة . وتكون العزيز والمتبتل حسنا . وجوهر السيف ليس فيه رقة ولا قهر بل القهر فى حده والرقة فى متنه . والمصيبة ان هذا المعنى الركيك المغلوط مسروق من بيت هائل ، وهائل جدا . فهل الشيخ لا يحس البيت الهائل فى قول بشار

لكالسيف إن لاينه لان متنه وحداه إن خاشنته خشان

هكذا يكون الشعر لا تلك البلادة نعوذ بالله نعوذ بالله

ثم يرجع بعد أبيات الى نور جلالة الملك فيقول

بك عبده الواهى استفاض بهاؤه كالشمس تملأ ناظر المتأمل

(اترك النكتة فى كلمة الباء) عند العامة ، وقل لى هل الشمس تملأ ناظر من يتأمل فيها أم تجعله حالا يقفل عينيه ولا يتأمل خوفا من أن يصاب بالزغللة وما يعرض منها مما هو معروف فى طب العيون ولكن تعمل ايه الشيخ دا نما يسرق سرقات مضحكة وهذا المعنى أصله فى الشعر العربى هكذا : « كالشمس تعشى ناظر المتأمل » أى تصيبه بالعشى أى ضعف النظر . فهل هذا يليق فى وصف نور الوجه الملكى الكريم . ألم يكن الواجب ترك هذا الشيخ فى مدرسة أو التنبيه عليه « متوكئا » بأن يسكت عن الشعر ؟

ويقول : في كل ناصية وكل محلة تأهيل محتفل وجلوة محفل

أي يجاري محمود باشا البارودي إذ يصف الحرب من قصيدته الشهيرة

في كل مربأه وكل ثنية تهدار سامرة وعزف قيان

فالتقسيم في بيت البارودي فو معنى ولكنه في بيت الشيخ عفيفي لغو لأنه يريد ان يقول في كل مكان احتفال. فلم يستطع خط الكلام وتوتر بهذا الهذيان. وقوة الشاعر العربي لا تظهر بعد المعاني الا في القدرة على حبكها بدون حشو . وكل بيت في هذه القصيدة من أولها الى آخرها لا يخلو من عيب الحشو البارد الذي يتلف المعنى وتأثيره في النفس ! كقوله بعد هذا :

ذكر بناحية الشمال يجيبه ترديد ذكر بالجنوب مرتل

فاذا كان ذكر الجنوب مرددا فما معنى مرتل الا الحشو للقافية وهو اسخف الحشو وهو بكل أسف الذي تراه في القصيدة ثم قوله (ناصية الشمال) كان يقتضي ان يقول (رجل الجنوب) والا فالناصية حشو . والبيت كله هو هذا تذكر بالشمال يجيبه ذكر بالجنوب! فهو ثمان كلمات منها ثلاث للحشو. وهكذا في كل كلامه. ويقول بعد هذا

ان الذي جعل الحنيفة دينه أولاك منها عقدة لم تحلل

وسكت عن ذلك وانتقل الى معنى آخر. فهل الله ادخر لجلاله عقدة لم تحل ليحلها ام لتبقى عقدة ! وماهي هذه العقدة وما تفصيلها وما شرح الاعمال التي بذلت في حلها أليس هذا رجل ينظم الشعر

وبعد مرحلة في الخراب من هذا الكلام يقول

يارافع البيت المقدس عش له ولكل متصدع بجودك يعتلي

ألوى الزمان بركنه فترجحت جنباته بين الصبا والشمأل

قال الشارح !! الشمأل ريح عاصفة تهب من القطب !! فاين القطب من بيت المقدس لعل بيت المقدس في بلاد السويد والنرويج . ولاحظ ان (يعتلي) قدمرت ووضعت في سجل نقابة و اشراف الكتابة ، وهناك معناها يرتفع فامعناها هنا المتصدع يحتاج الى الترميم والترديم فلا معنى (ليعتلي) . ويارافع البيت المقدس لامعنى فالاله لا احد يرفعه ولا يضعه بل المطلوب ترميم لابناء السور الثاني !!

ولما ألوى الزمان بركن المسجد الاقصى ماذا حصل فورأى الشيخ عفيفي الجواب. وضع المسجد فى مرجيحة تهزها الريح الآتية من بلاد نجد والعاصفة الآتية من القطب! ومن فساد الذوق مادامت القصيدة تحية العيد ان تكون المرجيحة هكذا وكان يحسن ان يجعلها مرجيحة لطيفة من مراجيح العيد كصندوق او حصان خشبي

ويقول: فبذلت أعناق الالوف تواليا تنصب كالوسمى بعقبه الولى

وفى الشرح !! الوسمى المطرة الاولى والولى المطر بعد المطر. ولكن ما معنى «اعناق الالوف»؟ هنا يظهر فساد ذوق الشيخ بأقبح مظهر بل هذا جهل بعلم البيان وصناعة الكلام !!! أمن كتاب النحو فى المدارس الملكى بخطوة واحدة. هل انت من أهل الخطوة يا شيخ؟

كان لعمر بن الخطاب عامل فعزله بتهمة الرشوة فبعد عزله ظهر له مال فقال عمر أبت الدراهم إلا أن تظهر أعناقها. فيسرق الشيخ عفيفي الكلمة من هذا الموضع المخطر ويضعها فى هبة جلالة الملك لتعمير المسجد الاقصى. هذا فظيع! هذا فظيع! والهبة كانت خمسة آلاف جنيه مرة واحدة وهذا هو الذى يجعل لها قيمة فجعلها الشيخ (توالياً) ولم يكتف بهذا بل زاد التفسير مطرة بعد مطرة. اذن لم تبق لها قيمة ولعن الله الحشو!

وبعد مرحلة فى الكلام الخراب يقول

ملك اقام على المعارف عرشه أرسى عماداً من تبير وبذبل

أولاه اسماعيل فضل زمامه عهد العصور الى العصور المقبل

قال فى الشرح!! تبير جبل بمكة وبذبل جبل بنجد. والشيخ لا يعرف الشعر أبدا وينظم نظم المتون تماما. وقاعدته «كله عند العرب صابون» والبيت الثانى لا يرضى أحداً من العامة ان يمدح به فضلا عن جلالة الملك لان معناه ان اسماعيل أعطاه القطعة الزائدة من زمامه. فهل يليق هذا. هل يليق وضع (الزمام) هنا ولو كان له أبدع معنى. فكيف وهو معنى بارد وسخيف. واين الزمام والأسد العصور ابو الاشبال. هل للاسد زمام

وبعد هذا يقول. ما ضره والرأى منه يصونه ألا يصول بدفع او منصل

والمعنى مسروق كما لا يخفى وقد أحكمه المتنبي بابداع فائق يلتحق بالاعجاز قصيدته التي مطلعها : الرأي قبل شجاعة الشجعان . وبيت واحد منها يكفل ما يقر الشيخ عفيفي طول عمره . ولكن هل يليق ان يجرد ملك الملوك في هذا الزمن حتى « مدفع » واحد ومنصل واحد مهما كان الرأي ولو كان نازلا من السماء . وما ا واسخف ان يجعل الملك هو الذي « يصول » بمدفع ومنصل . ويقول :

حب الرعية في خلالك خلة تتبدل الدنيا ولم تتبدل

فيا المعز ان جلالة الملك من خلاله حب الرعية ام الرعية تحب في خلال الملك وخ خلة الخ . وإذا تبدلت الدنيا ، فهل تبقى الرعية وهل تبقى حجارتها وهل تبقى من الكون وحدا وهل لم تنفى الفعل في الماضي ام في المستقبل ياشيخ عفيفي . وهبها تجوز في بعض اللغا الضعيفة فهذا يكون للضرورة فقط وانت كل كلامك من هذا حشو وضرورة وثرثر ومعان من الشوارع كما تقول بعدها :

مزجت ولاءك بالسرائر والنهى مزج السلافة بالمعين السلسل

سرقة باهتة جدا جدا والمعين السلسل حشو انظر كيف يقول البحتري

وجدت نفسك من نفسي بمنزلة هي المصافاة بين الماء والراح

أنى عليك بأني لم أجد أحدا يلحى عليك وماذا يزعم اللاحي

تعلم ياشيخ من قوله « هي المصافاة » . كي تأتي على الاقل بكلمة بيانية ولكن هيهات ويكفي الآن . ولعل الديوان العالي ينبه على هذا الشيخ « مؤكدا » ان لا يعود الى الشعر العصور — مدح الملوك في كل العصور وعلى الاخص في الشرق وفي أوج النهضا العربية خول الشعراء « واكثر ما كان مدح الفحول للملوك في عصور ازهرت في المدنية وعمل فيها الملوك على خير الشعوب . اما الشعاريز من امثال (العبد لله عفيفي) فلم نسمع عنهم خبراً ولا نقل الينا منهم أثراً

ونحن والحمد لله في مصر وعلى عرش مصر « ملك » يحله المصريون كل اجلال ان يكن لأبادي آبائه عليها فلمعطفه على شعبه وحبه خير اقراره والسهر على مصالحهم سه الآب الشفيق على الابن البار . غير اننا نعلم أن الديوان العالي قد حال بين خول الشعرا وبين الاعتاب الملكية ان يكونوا من المعبرين عن مفاخرها الخالدة ، فاتسع البا لامثال هذا الشويعر أن يقول في المناسبات الملكية شعراً وأن يدعى في غير خجل

انه شاعر صاحب الجلالة ،ملك كتاب المنتدى، وارث عرش محمد علي. بل المتربع عن حق وجدارة على عرش القراءة المعظم

ولا شبهة مطلقا فى أننا اضطررنا إلى نشر المقال السابق مدفوعين الى ذلك باخلاصنا اولا، وباخلاص كاتبه الأديب ثانيا، حذر ان يتأدى عبد الله او (عبد اللاوى) بن عقبى فى تشاعره هذا فيفسد الامر ويتقلب القصد الحسن عن غفلة وجهل الى ما ينال كل مصري دمه قبل ماله ابتغاء درئه عن عتبة القصر الملكي بله المقام الاعلى والمجد الاسنى فى ديار مصر ورمز عظمتها جلالة ،الملك،الذى يجل مقامه عن أروع الشعر العربى ان يكون له وصفا أو لخالد اعماله صفحة تتلوها الاعقاب الى أبد الآبدين

وبعد . فهذه صفحات ما املاها علينا الا الاخلاص الأكيد . نقول بهذا تاركين لمن اراد أن يقول مايشاء وأن يبدى بما يشاء .

أطلب من دار العصور للطبع والنشر

ومن جميع المكاتب المعروفة

تاريخ الفكر العربي

فى نشوئه وتطوره بالترجمة والنقل عن الحضارة اليونانية